الرواية والتاريخ

دراسة نظرية

د. ديانا علي*

علاقة الرواية بالتاريخ – موازاة وحوار

حاول بعض النقاد المفاضلة بين الرواية والتاريخ عن طريق بيان الفوارق والاختلافات بينهما، إلا أنه لا يمكن أن تقوم العلاقة بينهما خارج حدود التوازي، فالرواية فن والتاريخ علم، ومهما بلغت الالتقاءات والاختلافات بينهما سيحتفظ كل منهما بجوهره وحقيقته وحقله الخاص، لكن استقرارهما «في حقلين متغايرين لم يمنع عنهما الحوار، ولم ينكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي»[1].

يتزامن صعود الرواية وعلم التاريخ عند الغرب، فقد اتخذ القرن التاسع عشر من الإنسان مرجعا وموضعا للدراسة والاهتمام بطبيعته الإنسانية، ونصبه جذرا لغيره[2]، وقد كتب المؤرخ توماس كارليل (1765 – 1881): «كل أنواع المثل العليا لها حدودها المقدرة لها، ولها فتراتها المعيّنة للشباب والنضج والكمال والانحطاط والموت النهائي والزوال»، وكتب جورج لوكاش (1885–1971)، وهو يعرف الرواية: «يعبر جوهر العمل الروائي الأكثر عمقا عن ذاته في السؤال

* الأردن.

1- دراج، فيصل: الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص 9.

2- انظر: المرجع نفسه، ص 9.

التالي: ما هو الإنسان»[3].

وإلى مثل هذا أشار الجبرتي في مقدمته لـ(عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وهو يحاول أن يبين مفهوم علم التاريخ وموضوعه والغرض منه، وفائدته على نحو لا يكاد يخرج عما أراده المؤرخ والناقد حول البحث في تجربة الإنسان وينتهي إلى العبرة والحكاية: «وفائدته العبرة بتلك الأحوال، والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن؛ ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويجتنب سوء أقوالهم، ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي»[4].

يصبو كل منهما (المؤرخ والروائي) إلى الكشف عن معنى الوجود للعالم، وعن عمق التجربة الإنسانية، وتطويعها في شكل صياغة سردية[5] تحتكم إلى فن يشيدها: تأريخيا أو تخييليا، فالكتابة التاريخية فن مثل الكتابة الروائية وإن اختلفت الأداة / اللغة في تشييد التجربة الإنسانية سرديا مع اختلاف تقنياتها والحقل الذي وجدت فيه.

والفارق بينهما يكمن في رغبة الأول في التطابق مع الوثائق، وعدم انصياع الثاني لهذه الرغبة[6]؛ فالمؤرخ يروي «ما حدث فعلا» من وجهة نظره، محتكما إلى العرض والتفسير العقلاني، وهو خاضع للمساءلة التاريخية لأن «قصد المؤرخ من الكتابة التأريخية هو قصد توثيقي بينما قصد الروائي من المعرفة التأريخية هو قصد إبداعي»[7].

لكن الجامع بينهما هو مفهوم الحبكة، أي عملية بناء القصة، فعملية تجسيد

3- المرجع نفسه، ص 9.

4- الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مكتبة الأسرة 2003، ج1، ص 2.

5- انظر: كاظم، نادر: «الرواية وإعادة تحبيك التاريخ» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008، ص 628.

6- انظر: المرجع نفسه، ص 634.

7- الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتاريخ، (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 580.

موقف تاريخي تعتمد على فن المؤرخ ومهارته في إنشاء بنية سردية لأحداث تاريخية منتقاة يرغب في منحها معنى ما، فالكتابة التاريخية والكتابة الروائية تخضعان لكتابة حبكة، ولانتقاء أحداث ولإضاءة بعض التفاصيل والجزئيات دون غيرها، فلا توجد في الكتابة التاريخية وقائع معزولة أو مبعثرة بل ترتبط بنسيج تاريخي مماثل لما يسمى بالحبكة، وهي مزيج يتصف بطابع إنساني شديد البروز مع طابع علمي تختلط فيه الأسباب المادية والغايات والمصادفات، فاختيار شريحة من الحياة وإضفاء الصلات الموضوعية، وإبراز أهميتها النسبية على وقائعها هو الذي يجعل لبعض التواريخ أفضلية في القراءة والفهم[8].

إذن، «فهناك قدر من التاريخية في أية رواية، وهناك قدر من الرواية في أي كتابة تاريخية»[9] مع حفاظ كليهما على هويته العلمية والفنية، فالخطاب التاريخي يتحدد بالحقيقة، ويخضع لمساءلة المنهج العلمي، بينما يتحدد الخطاب الروائي بالتخييل، والتاريخ خياله محكوم بالاستنتاج والاستنباط والربط الذي يستند إلى الحقائق التاريخية، أما الروائي فيوظف خياله بطريقة إبداعية للوصول إلى الصدق الفني[10].

إن العوالم الإنسانية المسرودة بين حقلي التاريخ والرواية هي عوالم واحدة لكنها تتباين، فالتاريخ يفسر «ما أنشأه الآخرون، ويدون الحدث التاريخي، أما الرواية فهي بطولات لعوالم ينشئها المبدع، ويقوم الروائي باستنطاق الحدث التاريخي وفق رؤيته، وينقل التاريخ إلى وجود متحرك مصاحب لتفسيره وتأويله وحامل لرغبته وقراءاته ولرغبات المجتمع»[11].

8- انظر: فيين، بول: أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات 1996، ص 62 - 63.

9- قاسم، عبده قاسم: «التاريخ والرواية، تفاضل أم تكامل» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 349.

10- انظر: كاظم، نادر: «الرواية وإعادة تحبيك التاريخ» في: الرواية والتاريخ، (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 27.

11- القرشي، عالي سرحان: «العلاقة بين الرواية والتاريخ (استنطاق، اختراق، تكوين)» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 12-13.

إن الآخر الذي شغل به الـدرس التـاريخي يتمظهـر في دراسـة تـاريخ النخبـة والطبقات، ويـدون التـاريخ العـام للشـعوب، بينمـا تعنـى الروايـة بالتـاريخ الخـاص للأفراد[12]، ذلك التاريخ الذي يرتبط بما فعلته النخبة، فـالأفراد إمـا مشـاركون وإمـا ضحايا، وهنا يبرز دور الروائي في إخراجهم من دائرة التهميش.

ويبرز الفارق بين الروايـة والتـاريخ في التلقـي، فالتـاريخ/ الـدرس التـاريخي يقدم لنا الماضي بصورة أكاديمية تناسب المختصين والمثقفين، أما الروائي (كاتـب الرواية التاريخيـة) فيسـتطيع أن يقـدم لنـا التـاريخ في صـورة حيويـة تجتـذب كـل شرائح المجتمع، فإذا كان المؤرخ يقدم لنـا جسـد التـاريخ فـإن الروائـي هـو الـذي يوجه حركة الجسد[13].

علاقة الرواية بالتاريخ

تظهر طبيعة العلاقة بين التاريخ والكتابـة الروائيـة في اللحظـة الـتي تبـدأ بهـا كتابة الرواية، فهي علاقة غير مستقرة مع التاريخ، يبدو فيها القلق والرغبـة والتوجيـه الجديـد لمسـاره، أو نقضـه، أو التعـالي علـى جبروتـه، وممارسـة احتكـار التفسـير والتدوين، وتبعا لاختلاف هذه الغايات، يختلف مستوى العلاقة بينهما[14].

تسير هذه العلاقة في ثلاثة اتجاهات:

أولا: التمثيل السردي للتاريخ – سرد المطابقة

يرتبط هذا التمثيل السردي بالرواية التاريخية، التي ظهـرت في الأدب العربـي الحديث متزامنة مع حركة الإحياء والنهضة الـتي عاشـها الـوطن العربـي في القـرن التاسع عشر، فالنصوص الروائية العربية الأولى هي وليدة وعي تـاريخي ينـزع إلى

12- انظر: الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتـاريخ (ملتقـى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ص 580.

13- انظر: قاسم، عبده قاسم: «التاريخ والرواية، تفاضل أم تكامل» في: الرواية والتـاريخ (ملتقـى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص351.

14- انظر: القرشي، عالي سرحان: «العلاقة بين الروايـة والتـاريخ (اسـتنطاق، اخـتراق، تكـوين)» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 12.

الإحياء بدءا[15]، وإلى محاكاة نموذج تاريخي لغايات مختلفة. وقد تلازمت هذه الحركة الإحيائية مع عملية المثاقفة بين العرب والغرب التي أدت إلى رحيل ذلك الشكل الروائي «الرواية التاريخية» من الأدب الغربي إلى الأدب العربي.

يقدم سعيد يقطين مفهوما للرواية التاريخية -نقلا عن عدة دراسات ومعاجم فرنسية مختصة- على أنها: «عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخييلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة، إننا في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدمة بطريقة إبداعية وتخييلية»[16].

فالرواية التاريخية هي تخييل سردي لحقبة تاريخية، يتنازع فيها التخييلي والتاريخي لتمثيل «روح العصر» -كما أراد لوكاش- للحقبة المراد الحكي عنها أو تخييلها، فهي بذلك «جنس أدبي هجين تقوم على أن فكرة التاريخ والحكي يتداخلان بربط الحقائق بطريقة أدبية ذات معنى»[17]. إن صفة التهجين في النص السابق لا تحمل معنى سلبيا.

تجمع الرواية التاريخية بين المادة التاريخية وبين قواعد الخطاب الروائي التخييلي، وتخضع لقانون «المطابقة التاريخية»[18] بوصفها تاريخهم (أي

15- انظر: الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتاريخ، (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 582.

16- انظر: يقطين، سعيد: الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، العدد 44 تشرين الأول، أكتوبر 2005، على الموقع الالكتروني: www.niswa.com ، للمزيد حول مفهوم الرواية التاريخية عند النقاد انظر: الشمالي، نضال: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد 2006 ص111 وما بعدها.

17- انظر: الحاجي، فاطمة سالم: «النص التاريخي والخطاب الأدبي» في: الرواية والتاريخ، (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008، ص 237.

18- انظر: يقطين، سعيد: الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي على الموقع الالكتروني: www.nizwa.com

المعاصرين) السابق للذات، إنه يكتب تاريخهم[19]، فقانون المطابقة التاريخية يقتضي أن تكون الرواية التاريخية أمينة لمرجعيتها التاريخية ولمظانها التي استندت عليها، بالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيلة[20]، وهي بعيدة عن أي تلاعب تاريخي لإحداث فانتازيا أو « مفارقة تاريخية »[21].

ولا يعني القول بقانون المطابقة أن الرواية التاريخية تصلح أن تكون مرجعا تاريخيا للدراسات العلمية؛ لأنها ستبقى منتمية إلى حقل الفن لا حقل العلم (علم التاريخ).

كما تهدف الرواية التاريخية عند لوكاش إلى « تقديم نموذج شامل لمجتمع يخضع إلى تغيير تاريخي »[22]، والتغيير الاجتماعي يرتبط بأزمة تاريخية؛ لذلك يشترط لوكاش أن تكون الحقبة المنتقاة حقبة مشحونة بالصراع والتوتر أو حقبة انتقالية، وعلى الروائي أن يجدّ في تصوير انعكاس ظرفها الحرج على الشعب.

تكتسب الرواية التاريخية صفة إحيائية خلاقة فهي تود « أن تكون شعرية، أي أن تكون خلاقة، تعيد خلق فترة من الماضي، فترة متبقية في الذاكرة الفردية، أو ذاكرة الأمم »[23]، سنجد أن هذه الخاصية ستكون هدفا عند كتّاب الرواية التاريخية في الوطن العربي الذين أرادوا إنعاش ذاكرة القارئ وتثقيفية بأسلوب أدبي لإحياء التاريخ وتحريره من الكتب الصفراء.

إن الوظيفة العامة التي تقوم عليها الرواية التاريخية هي تحويل السرد الإخباري القابع في المظان التاريخية إلى سرد محاكاتي حي بروح عصره.

ترتبط هذه الخاصية بجذور الهوية والقومية والاستقلال أو بلحظات

19- انظر: جورج، لوكاش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005 ص 417.

20- انظر: المرجع نفسه، ص215.

21- المرجع نفسه، ص 214 -215.

22- المرجع نفسه، ص 21.

23- الحجمري، عبد الفتاح: التخييل وبناء الخطاب في الرواية العربية (التركيب السردي)، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2002، ص 44.

العار[24]، لذلك نجد لوكاش يرجع أسباب ظهور الرواية التاريخية إلى يقظة الحس القومي في مطلع القرن التاسع عشر تحديدا[25].

ثانيا: التقنع التاريخي – سرد المطابقة الموحية

ظهر هذا التيار في ستينيات القرن العشرين، إثر هزيمة حزيران وما رافقها من فجيعة وما نتج عنها من « تزلزل الإيمان بالمد القومي، والدولة الشمولية التي يسوسها حاكم فرد، والتوق إلى التفلت من إسار النظرة السائدة إلى الذات في علاقتها بنفسها وعالمها »[26].

كما أن الاتجاه الحداثي لهذا النوع من الروايات الذي يستلهم التراث في بنائه ومضمونه، نشأ ردة فعل لتيار الرواية الواقعية المباشرة التي سادت في خمسينيات القرن العشرين [27].

إن الطابع التجريبي عند أدباء الستينيات جاء ليمثل تحولا وتطورا للأدب العربي، فاستحداث شكل روائي جديد يأتي نتيجة لتغيرات اجتماعية وسياسية ورقابية، وولادته تأتي بتجميد أو استهلاك شكل قديم فقد شروط وجوده، فجابر عصفور يرى أن « زمن الرواية يوجد حين يغدو التمرد على الأنساق المغلقة، وحين يواجه الوعي الإبداعي ما يعوق تقدمه، وحيت تتولد رغبة عارمة، وتتأصل إمكانات التحديث فارضة وجودها »[28]، فالبحث عن بدائل تعبيرية جعلت الكتاب يتأرجحون بين القطيعة مع التراث أو التواصل معه.

وسرد المطابقة الموحية هو نموذج سردي يفتح الماضي على الحاضر ويحتفي باللحظة الساردة، كأن يوسع من مجالها لتستحيل إلى زمن وسيع زاخر

24- انظر: جورج، لوكاش: الرواية التاريخية، ص 20.

25- انظر: المرجع نفسه، ص 11.

26- خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، دار الفارابي، بيروت، 2001، ص 99-100.

27- انظر: المرجع نفسه، ص 101.

28- عصفور، جابر: زمن الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط 2، 2000، ص 18.

بالتفاصيل وأوصاف دقائق الأشياء داخل المكان (الهنا) واللحظة (الآن)، وبمختلف العلامات الإيديولوجية والنفسية، فيشتغل هذا النموذج، في الأساس، على «ماض وحاضر»، كأن تتعاظم اللحظة (الحاضر) في راهن الكتابة السردية[29]، وهذا النموذج أو الاتجاه السردي يهدف إلى نقل الوجود / الواقع بأفق متخيل تاريخيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا.

تكون العلاقة في هذا النمط السردي بين الروائي والتاريخ المستلهم علاقة إسقاط ومشابهة، فالروائي يقرأ الحاضر في ضوء الماضي للتشابه الحاصل بينهما، ولاصطياد زمن دوري، وقد يلجأ للتقنع التاريخي بسبب الرقابة المفروضة عليه، أو لرغبة الروائي في تأسيس جذور لهوية سردية منبثقة عن الثقافة العربية، أو أنه مسكون بتساؤلات أثارها الحاضر، فبحث عن جذورها وعن إجابتها في التاريخ، أو قد يكون متلمسا وحدة التجربة الإنسانية.

ويأخذ التقنع التاريخي عدة أشكال وتقنيات سردية تصب في «السردية الصناعية» التي تتشكل من التخييل السردي، فهي تتصنع قول الحقيقة أو تتحمل قول الحقيقة في إطار كون خطابي تخييلي[30].

فالروائي يتوسل في تقنع التاريخ عدة وسائل بروتوكولية للإيحاء بواقعية روايته، أو بقلب الوقائع والأحداث الخيالية إلى حقائق أمام القارئ، فالغيطاني في «الزيني بركات» يحتال على القارئ في بداية الرواية بإحالتها إلى الرحالة الإيطالي، فوضعية الراوي هنا هي تقنية إيهامية ذات أبعاد دلالية وسردية: «رجب 922 هـ أغسطس إلى سبتمبر 1517 مقتطف (أ) من مشاهدات الرحالة البندقي فياسكونتي جانتي الذي زار القاهرة أكثر من مرة في القرن السادس عشر الميلادي أثناء طوافه بالعالم. سجل هذه المشاهدات أحوال القاهرة خلال شهر أغسطس

29- انظر: الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، ص 582.

30- إيكو، أمبرتو: 6 نزهات في غابة السرد، ترجمة: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص 193.

1517 ميلادية الموافق رجب 922 هـ»[31].

فالغيطاني يلجأ هنا عبر شخصية الرحالة المختلقة إلى حيلة سردية تهويمية من أجل صناعة عالم حقيقي يعتقد القارئ بوجوده ومصداقية الشخصيات والأحداث التخييلية فيه.

وهناك تقنية استخدمها الروائيون كثيرا، وهي تقنية المخطوط الذي بقي بأمان من الرقابة أو من الكوارث، وفيه الحقيقة الكاملة لما جرى من أحداث، وعادة ما يحتوي على بعض الأسطر أو الجمل المطموسة، وهي تقنية استخدمتها نجوى شعبان في «نوة الكرم»، أثناء سردها لأحداث الرواية، فالراوية مخطوط يقرأ به بالزمن المعاصر، وتخبرنا قارئته عن صعوبة قراءة المخطوط الموروث من جدّها بسبب طمس بعض سطوره وعباراته أو لاستخدامه السريانية والقبطية.

وقد كشفت هذه التقنية رغبة الروائي في تدوين الحقيقة كما يراها والتخلص من جبروت السرديات التاريخية، وتسليط الضوء على دور المهمش في كتابة التاريخ بعيدا عن التوثيق الرسمي السلطوي للتاريخ.

أما «السائرون نياما» فقد صدرت الرواية بهذا الافتتاح الزمني الخالص: «الفترة التاريخية التي تدور فيها أحداث هذه القصة لا تكاد تتجاوز ثلاثين سنة (1468–1499) من عمر سلطنة المماليك التي حكمت تاريخ مصر والشرق 267 سنة»[32]، فالروائي يضع القارئ بشكل مباشر في الحقبة التي ستغطيها الرواية، ليتوهم بمصداقية أحداثها عن طريق هذه البداية التقليدية.

هذه البداية التقليدية قريبة العهد بأسلوب الرواية التاريخية، فهو يشبه تصدير العريان في روايته «على باب زويلة» كما سنبيّنه لاحقا، لكنها في الرواية المتقنعة تاريخيا تكتسب تهويما من نوع خاص يحق فيه للروائي أن يحور في بعض الوقائع التاريخية دون أن يساءل عن المصداقية التاريخية، تلك المساءلة التي تخضع لها الرواية التاريخية، لأن أي انزياح تاريخي متعمد يحتمل تأويلا ودلالة

31- الغيطاني، جمال: الزيني بركات، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 2005، ص 4.
32- مكاوي، سعد: السائرون نياما، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 1.

أرادها الروائي، لكن هذا لا يبرر للروائي المتقنع بالتاريخ أن يتجاهل روح العصر المستلهم من العادات والتقاليد والتفكير والأزياء والوظائف ... الخ، فعليه أن لا يقع في بعض الهفوات التاريخية إلا إذا كان بهدف خلق مفارقة ما.

ثالثا: ميتاقص كتابة التاريخ

وهو تيار سردي ظهر في سبعينيات القرن العشرين لدى بعض الكتاب، وأطلق عليه « الميتاقص التاريخي »، وجاء هذا النوع رداً على تجريبية السرد التاريخي التقليدي[33]، وهو تيار ينتمي إلى ما بعد الحداثة، حيث يتحاور الوعي الذاتي بالتاريخ والقص، حوارا مفارقا مع الماضي الفني والاجتماعي، في هذا النوع من الكتابة، وحضور الماضي فيه لا ينطلق من وعي نوستاليجي على الإطلاق، وإنما معاودة ناقدة له[34].

يتساوق ظهور هذا التيار (الرواية الميتاقصية – ميتاقص كتابة التاريخ) مع تيار جيل الستينيات، فقد عاش التياران الشرط التاريخي ذاته، وهو لا يرى إحداث قطيعة مع الماضي، وغايته إحداث الشك والتساؤل لدى القارئ، فهو ينتهك المسلمات والمواضعات الكتابية[35]، ويقوض الحبكة الروائية التقليدية، ويلغي المرجعية المباشرة للواقع[36].

يهدم هذا السرد الحدود الفاصلة بين الماضي والحاضر، ويتلاعب بالزمن، لاكتساب وعي جديد بالتاريخ عبر إحداث مفارقات تاريخية مستهدفة تكسر جبروت التاريخ وقدسيته ومنطقيته، « فكتّاب (ميتاقص كتابة التاريخ) يرون في ما يسطرون دحضا للماضي والحاضر، ويؤمنون بنزعة التأنق التي تميز عصرا عن عصر، ويقرؤون الاختلاف في قلب التشابهات التاريخية، ويسعون إلى الإفلات من قبضة التاريخ التي تصور –أحيانا– بالقضاء المبرم الذي لا إفلات منه، ومن أدل

33– انظر: خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، ص 99.
34– خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، ص 85.
35– انظر: المرجع نفسه، ص 100 – 101.
36– المرجع نفسه، ص 116.

النمـاذج علـى روايـة (ميتـاقص كتابـة التـاريخ) روايـة (رحـلات الطرشـجي الحلوجي)»[37].

و« لا تكتفي رواية (ميتاقص كتابة التاريخ) بإظهار القدرة على نقـل الأجـواء والشخصـيات التاريخيـة إلى الحاضـر، فهـي تبعـث الحاضـر في الماضـي، معـززة الإحساس بموتيف (الحفلة العابرة للتاريخ) حيث تجتمع الشخصيات المنتميـة إلى حقب متباعدة في الزمان والمكان نفسيهما»[38].

لا يكتفي الروائي أو القاص برصد التشابه بين أحداث التاريخ وبـين اللحظـة الراهنة، فهو مسؤول عن تقديم وعي مغاير لوعي التاريخ المستلهم، وعليه أن يعـبر عن ذلك صراحة[39]، فالغيطاني مثلا يرى مجريات واقعه ضـمن وعـي ابـن إيـاس يقول: « لقد أسرني ابن إياس ولو كنت قد عشت في زمنه لكتبت مـا كتـب، وكتابـه ضخم، قرأته، للمـرة الأولى، وبعـد هزيمـة 1967 أعـدت اكتشـافه؛ لأنـه عـاش في حقبة تاريخية تشبه في كثير من الجوانب الحقبة الـتي عشـناها قبـل 1967 وبعـدها ... وقد كان ابن إياس يتمتع بروح وطنية وجـدتها تلتقـي في الكـثير مـع مشـاعري تجاه وطـني»[40]، فالغيطـاني يعـبر صـراحة عـن أن اسـتلهامه ووعيـه بالتـاريخ في النص السابق يصدر عن وعي المطابقة التاريخية، وعن « وعـي نوسـتالجي بالكتابـة

37- المرجع نفسه، ص 118.

38- خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، ص 119. الحفلة العابرة للتاريخ: هي اجتماع بصبغة كرنفالية، تستدعى فيه الشخصيات إلى اللقاء في موقع بعينه، ولغاية ما، ويتوسله الروائيون عادة لمجابهة عوالم الشخصيات بعضها ببض، وغالبا ما تكتسب الشخصية الرئيسة أو السارد المشارك في الحدث هوية عابرة لعالمها، عندما تطأ عوالم الشخصيات الأخرى وحدها أو برفقة آخرين. انظر تحليل أحمد خريس لمشهد الحفلة العابرة للتاريخ في الحفلة العابرة للتاريخ في رواية رحلات الطرشجي الحلوجي في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع العربي 2005) ص 116 - 117.

39- انظر: خريس، أحمد: الحفلة العابرة للتاريخ في رواية رحلات الطرشجي الحلـوجي لخـيري شلبي في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع العربي الروائي 2005)، الجـزء الأول، ص 117.

40- عثمان، اعتدال: مشكلة الإبداع الروائي عند جيل الستينيات والسبعينيات، فصول، القـاهرة، ع 2، 1982 ص 213.

التي يحاكيها »[41].

أما خيري شلبي فيريد أن ينتصر على عقدة التاريخ بالفانتازيا، وقد عنون روايته في الأعمال الكاملة بـ« رحلات الطرشجي الحلوجي (فانتازيا روائية في الزمكان) »[42]، وفي طبعة سابقة لها « رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان »، فبعد أن شغله التاريخ المصري الذي قرأه في فترات مبكرة من حياته -وقد جذبه المقريزي- نشأ في مخيلته « كلاكيع » فنية أخرجها في برنامج إذاعي بث فيه تاريخ القاهرة، وكانت أساسا لكتابة « رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان »[43].

لذلك فلا عجب أن يدون خيري شلبي تحت عنوان الرواية التصدير التالي: « تحتوي على أحداث مدهشة غريبة، وخواطر مسلية وعجيبة، وأخبار مذهلة ووقائع مؤسفة رهيبة تتحدث عن حياة الأوائل والأواخر، والأماجد والأسافل خطها يراع العبد الفقير إلى ربه تعالى العالم غير العلامة والحبر غير الفهامة ابن شلبي المصري الطرشجي الحلوجي كفانا الله شر جهله آمين »[44]، فخيري شلبي يتقنع بلبوس تاريخي مفتضح عندما ينعت نفسه بالعالم غير العلامة والحبر غير الفهامة[45]، ويدعو « كفانا الله شر جهله آمين »، فدعاؤه هذا بمثابة إيحاء بالتلفيق التاريخي لمجريات ما سيروى.

كذلك فإن المفارقة التي ينطوي عليها هذا التصدير تكمن في صفة الجهل التي ينسبها لنفسه، سنجد فيما بعد أنه السارد العارف بكل شيء، والخبير الفطن في العصور، فنسبة الجهل له وهو ليس جاهلا تثير سخرية بلاغية تعرف بتجاهل

41- خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، ص 117.

42- شلبي، خيري: رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمكان (الأعمال الكاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج 2، القاهرة، 1995.

43- انظر: ندوة عن رواية « بطن البقرة »، نقلا عن الموقع الالكتروني: www.alyaum.com

44- شلبي، خيري: رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 5.

45- خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، ص 118.

العارف.

ويحتوي هذا التصدير على إشارات هزلية واضحة دالة على التخييل الفانتازي للتاريخ، وعلى التلفيق التاريخي عبر الإيحاء بكوميديا التاريخ من خلال تنازع الهزلي والجدي في الخطاب الروائي الذي يبتعد عن الحنين القاسي للتاريخ، أو أنه يبني مفارقته على قسوة الأحداث.

والتصدير هنا بخلاف رواية «نوة الكرم» و«الزيني بركات» و«ليون الإفريقي» و«السائرون نياما» لا يحتفي بالبروتوكولات التخيلية التي تحول الخيال إلى حقيقة، لذلك عمد إلى جمع شخصيات من التاريخ المعاصر لزمن كتابة الرواية مع شخصيات تنتمي إلى أزمنة أخرى، وهو بذلك كسر الحدود الفاصلة بين الزمن الحاضر والزمن الماضي عبر ما يطلق عليه بريان ماكهيل الحفلة العابرة للتاريخ ... ويعني اجتماع عدد من الشخصيات التي تنتمي إلى حقب تاريخية متعددة[46]. وقد ظهرت عدة مشاهد لاجتماع شخصيات تاريخية ومعاصرة في غير أزمنتها، سواء بارتحال القديم إلى المعاصر أو العكس، وكان رابط هذه الشخصيات انشغالها في سيرة القاهرة تاريخيا وحضاريا وروائيا يتلاقى مع هوى السارد نفسه.

46- انظر: خريس، أحمد: الحفلة العابرة للتاريخ في رواية رحلات الطرشجي الحلوجي لخيري شلبي في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع العربي الروائي 2005)، الجزء الأول، ص 124.

قائمة المصادر والمراجع

1. إيكو، أمبرتو: 6 نزهات في غابة السرد، ترجمة: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005.
2. الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، مكتبة الأسرة 2003،.
3. جورج، لوكاش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005.
4. الحاجي، فاطمة سالم: «النص التاريخي والخطاب الأدبي» في: الرواية والتاريخ، (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008.
5. الحجمري، عبد الفتاح: التخييل وبناء الخطاب في الرواية العربية (التركيب السردي)، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2002.
6. خريس، أحمد: الحفلة العابرة للتاريخ في رواية رحلات الطرشجي الحلوجي لخيري شلبي في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع العربي الروائي 2005)، الجزء الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. 2005
7. خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، دار الفارابي، بيروت، 2001.
8. دراج، فيصل: الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.
9. شلبي، خيري: رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمكان (الأعمال الكاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج 2، القاهرة، 1995.
10. شلبي، خيري: رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
11. الشمالي، نضال: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد 2006.
12. عثمان، اعتدال: مشكلة الإبداع الروائي عند جيل الستينيات والسبعينيات، فصول، القاهرة، ع 2، 1982.
13. عصفور، جابر: زمن الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط 2، 2000.

14. الغيطاني، جمال: الزيني بركات، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 2005.
15. فيين، بول: أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات 1996.
16. قاسم، عبده قاسم: «التاريخ والرواية، تفاضل أم تكامل» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، ج2، 2005) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
17. القرشي، عالي سرحان: «العلاقة بين الرواية والتاريخ (استنطاق، اختراق، تكوين)» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
18. كاظم، نادر: «الرواية وإعادة تحبيك التاريخ» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005)، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008.
19. الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005).
20. الكيلاني، مصطفى: «استعارة التاريخ ودلالات الغياب» في: الرواية والتاريخ (ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي، 2005).
21. مكاوي، سعد: السائرون نياما، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

المواقع الالكترونية

22. ندوة عن رواية «بطن البقرة»: www.alyaum.com
23. يقطين، سعيد: الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، العدد 44 تشرين الأول، أكتوبر 2005، على الموقع الالكتروني: www.niswa.com